جامعة الشّهيد حمّه لخضر بالوادي، الجزائر / معهد العلوم الإسلاميّة

قسم أصول الدّين، تخصّص: دعوة وإعلام / ماستر 1 / السّداسيّ الأوّل 2022-2023

المقياس: الإعلام الإسلاميّ عبر الوسائط

إعداد: الأستاذ الطّاهر بن اعمارة الأدغم

الإعلام الإسلاميّ والثّورة التّكنولوجيّة والإعلاميّة الاتّصاليّة

مقدّمة:

من الطّبيعيّ أن تنشأ نظريةُ الإعلامِ من فكرِ عصرِها، وينشأُ فكرُ هذا العصرِ أو ذاك من التّصورِ الكونيّ الذّي يسيطرُ على النُّخبِ المتعلّمةِ والمثقّفةِ والفاعلةِ في أيّ مجتمع.

ولكلّ حضارة من الحضارات تصوّر كوني للعالم، أي نظرة يفهم كل شيء تقريبا وفقا لها. وهذا التصور الكوني السائد في حضارة بعينها هو الذي يحدد معالمها، ويشكل اللحمة بين عناصرها، كما يشكل إطار الاستزادة من المعرفة والمقياس الذي تقاس به.

وعند النظر إلى التصور الكوني السائد في عالم اليوم، وهو التصور الذي تتبناه الحضارة الغربية المهيمنة بحكم الغلبة والشيوع؛ نجد أنه تصور يرفض في الغالب كل ما هو غيبي، ولا يقبل إلا ما يصمد أمام الملاحظة العلمية الدقيقة.

وهكذا يقوم التّصور الغربيّ الحديث للكون على مسلّمة ضخمة وهي عدم وجود أي تدخل من قبل القوة التي خلقت الكون في حياة الإنسان، إذا فرضنا أن هذا التصور يؤمن بهذه القوة أصلا. وعلى هذه المقدمة تقوم نتيجتان هما: – عدم وجود أي منهج

علوي يهتدي به الإنسان في مسيرته في هذه الحياة ويرشده للكيفية التي يحقق بها حياة طيبة. – عدم وجود حياة أخروية يُجازى فيها الإنسان المحسن بالنعيم والمسيء بالجحيم.

وهكذا يحصرُ هذا التصور الوجود الإنساني في حيّز هذه الدنيا ويفرض عليه أن يعتمد على ذكائه المحدود في تلمّس أفضل السبل التي تمكّنه من إقامة حياة طيبة خلال العمر القصير الذي سيقضيه على هذا الكوكب، ومن هنا تباينت آراء المفكرين والفلاسفة في تحديد أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المناسبة لحياة سعيدة لهذا الإنسان.

ومن خلال ذلك التّصور والاختلاف نشأت أيضا نظريّات في الإعلام، ووصلت تلك النظريات إلى بلدان العالم الإسلاميّ التّي تأثّرت بالتّصوّر الغربيّ للحياة خلال فترات الاستعمار الطّويلة والغزو الفكريّ والبعثات العلميّة وغيرها من العوامل.

والحقيقةُ التّي يجبُ الصّدعُ بها دائما والسّعي نحو تجسيدها هي أنّ بلداننا الإسلاميّة تدينُ بالإسلام الذّي يملكُ تصوّرًا كونيا تقوم في كنفه نظرية اجتماعية متكاملة الجوانب، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، إعلامية، وإن كانت مغيّبة رسميا اليوم لأسباب متعددة.

ومن هنا تأتي تسمية الإعلام الإسلامي، لأنه ينبثق من تصور مغاير للتصور الغربي السائد، والغالب بسبب الاختلال الحضاري والثقافي بين عالمنا الإسلامي والعالم الغربي، وإن كانت التسمية ليست مقصودة لذاتها، حتى لا ندخل في جدلية المصطلحات التي يثيرها البعض.. لأن قيم ومبادئ وأخلاقيات الإعلام الإسلامي هي الأصل والمميّز الأساسي قبل وبعد التسمية.

إنَّ الإسلامَ دين الرحمة والإنقاذ والنجاة والإصلاح هو دين دعوة وإعلام أصيل قائم على جوهر الموضوعية والحق والتجرد والصدق وحب الآخرين من أجل إسعادهم في دار الدّنيا وفي مقرّ الآخرة دار الخلود.

إنّ الدّين الإسلاميّ يقوم على الإفصاح والبيان، بعكس كثير من الديانات الأخرى

التّي تتستّر وراء السّرّية والكتمان، وإذا كانت العبادة وقراءة الكتب المقدّسة أو تفسيرها لا زالت حكرًا على رجال الدّين في ديانات عديدة؛ فإنّ كلّ فرد في الأمّة الإسلاميّة مطالبٌ بقراءة القرآن وتلاوته وتدبّره دون وساطة من أحد، بل إنّ في وسعه الاجتهاد في الفهم والتّفسير واستنباط الأحكام إذا أهّلَ نفسه وامتلك الأدوات العلميّة الكافية لبلوغ درجة الاجتهاد.

الإعلام الإسلاميّ.. ضرورة وفريضة:

يعتبرُ الاتّصال الإنسانيّ فطرة فَطَرَ الله عليها البشرية منذ نشأتها الأولى، فقد كان التّكليف الأوّل الذّي أمر الله به آدم عليه السلام بعد خلقه هو مهمّة البلاغ والتّوضيح والإفهام، وذلك في أوّل اتصال بملائكة الله، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: **(يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ)** [البقرة: 33].

ومضت سيرة الحياة الإنسانيّة ضمن سلسلة علاقات متعددة تقوم على اتصال الإنسان بالإنسان أفراداً وجماعات وأمماً، حتى أمكن تنظير هذه الفطرة ضمن سلسلة من العلوم والمعارف كان منها الإعلام.

بدأ الإعلامُ بنقل المعلومات من شخص أو أشخاص إلى آخرين، وذلك عن طريق الكلمة المنطوقة لتصل مباشرة من الفم إلى الأذن دون وسيط أو وسيلة، بجانب نقل هذه الكلمة أيضاً عن طريق البصر مباشرة كما هو الحال في الصور أو الرسومات، وظلت حاسّتا السمع والبصر (الأذن والعين) هما المداخل الأساسية لإدراك الكلمة والتي تمثل رسالة مقصودة من جانب مرسلها إلى آخر مستهدف بها. حتى كان التطور السريع الذي صاحب العمليات الاتصالية عامة والإعلام بصفة خاصة، حيث أصبحت هذه الكلمة أو المعلومة والتي أُصطلح عليها بـ (الرسالة الإعلامية) تنتقل من شخص أو أشخاص إلى عالم متّسع من المتلقّين عن طريق العين، ولكن بوسيلة جديدة وهي المنشور والجريدة، وعن طريق الأذن ولكن بوسيلة جديدة أيضا وجهاز حديث عُرف

بالراديو... وتنتقل أيضاً على أنظار الملايين وعيونهم عن طريق التلفاز أو غيره من الوسائل المرئية الحديثة، ثم عالم الفضائيات والانترنت الواسع والهواتف الذكية وما فيها من خدمات وتطبيقات مذهلة.

وكانت المحصّلة تحوّلا في العملية الإعلامية شكلاً ومضموناً وهدفاً، حيث لم تعد مجرد خبر ينقل أو تسلية في وقت فراغ، بل أصبحت نشاطاً مخطّطا له بدقة، ويسعى إلى العديد من الأهداف التي تتركز في معظمها على التأثير والإقناع بهدف إحداث التغيير والتحويل نحو أهداف ومبادئ وقيم يسعى إليها صاحب الرسالة ومرسلها، سواء كان ذلك في عالم القيم والمُثُل أو الاتجاهات والمبادئ والمذاهب، وبهدف استمالة المتلقّي (السامع أو الرائي) واعتناقه قيمَ صاحب الرسالة واتجاهاته ومبادئه.

ومع تطوّر الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة تعدَّدت الدّول وقامت معظمها على مبادئ وأفكار وقيم مختلفة، وكل دولة تسعى لسيادة مبادئها وانتشار أفكارها وإخضاع الآخرين لما يرونه من مبادئ واتجاهات، فكان هذا الصراع العالمي الذي اتخذ شكل حروب وقتال وغزو عسكري وثقافي واقتصادي.

وظهر الإعلام سلاحاً خطيراً في هذا الصراع الدولي، ولا سيما بعد أن توفرت له وسائل متطورة، لها قدرة الوصول إلى أيِّ مجتمع وبسهولة وبساطة..، فحظيَ الإعلام باهتمام كبير من جانب الدول والمجتمعات والهيئات في عالمنا المعاصر، وأصبحت الرسالة الإعلامية تحمل فكر مرسلها، وتعمل في كافة مجالات النشاط الإنساني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً، فكان الإعلام بذلك قوة فاعلة تربط المجتمع الإنساني بمضامين واتجاهات متعددة بغرض التحول والإقناع، ومن ثم الاتِّباع والولاء.

وما نشاهده اليوم من هذا الفيض الهائل من البرامج المسموعة والمقروءة والمرئية والتي تحملها أجهزة متطورة يوماً بعد يوم؛ دليلٌ واضح على خطورة الإعلام وأهميته بالنّسبة لأيّ جماعة أو دولة تتطلّع للسيادة والانتشار.

وعلى الرّغم من إيجابيّات هذه الثورة الإعلامية والوسائل المتطورة في مجال التثقيف

والإخبار، وربط المجتمع البشري بما يحدث في أنحاء العالم لحظة بلحظة، وما تحقق من وعي ويقظة فكرية بين الأجيال الجديدة في هذا العالم؛ فإنها لم تخلُ من سلبيات خطيرة ومظاهر غير محمودة انجرفت إليها الكثير من محطات الإرسال والبث ودور النشر والطباعة، سواء كان ذلك بغرض الهدم المقصود لما تعارف عليه الناس من قيم ومُثُل أو الكسب المادي والانتشار، وكلها ولا شك قادت نحو آثار سيّئة ظهرت في العديد من الدول، وخصوصاً في مجال الفكر والثقافة والآداب العامة، مما أوجد صراعاً رهيباً في عقول الناشئة تقابله محاولات صمود ودفاع من جانب رجال الفكر والتربية، فوقع العالم في حيرة نتيجة هذا الصراع بين ثقافات متعارضة ودول مختلفة ليضع الأجيال الحالية في حيرة، بل وأحياناً في ضياع وتِيه.

ولعلَّ من أخطر هذه الهجمات والأفكار ما كان منها بغرض الاستهداف والاعتداء والافتراء على نظم وقيم تربوية وفكرية بعينها أو مبادئ سائدة بغرض تحقيق انصراف الناس عن هذه المبادئ أو الثورة على هذه النّظم والقيم بما يحقق سيطرة أفكار ونظم الجهات التي تقف خلف هذه الرسائل والبرامج الإعلامية الغازية.

وفي هذه الخضمّ تبرزُ ضرورة وفريضة الإعلام الإسلامي، بغضّ النظر عن التسمية.. ضرورة لأننا بحاجة إلى الحفاظ على كياننا الإسلامي، وفريضة لأننا أمة دعوة وشهادة على الناس، ولا بد أن نبلّغ الرسالة إلى العالمين.. قال تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)** [سورة البقرة: 143].

وليس في الأمر خيار، بل هو فرض على أمّة الإسلام أن تتولى الدعوة والإبلاغ بأحكام الله الداعية للفضيلة والصلاح، بل ومحاربة المنكرات وكل ما يفسد عقائد الناس أو ينحرف بسلوكهم. يقول الحق سبحانه وتعالى: **(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [آل عمران: 104].

ويؤكّد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «والذّي نفسي بيده لتأمرنّ

بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه؛ فلا يُستجاب لكم» (رواه الترمذي وحسّنه).

وإذا أدركنا الفريضة والضّرورة، وعرفنا أهميّة الوسائل في هذا الزّمان، فهل يُعْقَلُ أن تظلّ الأمّةُ الإسلاميّةُ مكتوفةَ الأيدي أمام هذا السّيل الجارف من الإعلام الموجّه الذّي يعتمدُ على أحدث ما وصلت إليه التّكنولوجيا الحديثة؟؟؟.

أهدافُ الإعلام الإسلاميّ:

يسعى الإعلام المهتدي بهدي الله إلى تحقيق غايات سامية منها:

– مواجهة حالة الضّياع التّي يعيشها المجتمع المعاصر عامّة، ومجتمع المسلمين خاصّة، بما يعيدُ التّوازن السّليم بين فطرة الإنسان ومستحدثات العصر الفكرية منها والمادية.

– تحقيق مواجهة إيجابية فاعلة أمام حملات غير المسلمين ممن يعادون الإسلام إما جهلاً به أو حقداً عليه، وذلك من خلال أجهزة ووسائل متطوّرة تواكبُ مطلوبات العصر؛ بما يحقّق إعلاماً قادراً ومتميزاً يقوم على المنهج العلميّ الصّحيح.

– تقديم الإسلام ومبادئه وفق أصوله التّي جاءت في كتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسلام، ونقد ما لصق به من شبهات وافتراءات، من خلال برامج تجمع بين قوّة الحجّة وفنّ الإقناع والتّأثير، بجانب الجاذبيّة وحسن العرض.

تطوّر الإعلام والمعلومات:

مرّت وسائل الاتصال بعدد من الثورات بعد مرحلة الإشارات والعلامات ابتداء من اختراع جوتنبرج للطباعة والمطبعة (التاريخ التقريبي لاختراع المطبعة في أوروبا بين عامي 1436 – 1444م) مرورا باختراع اللاسلكي الذي تطور لاختراع الراديو والتلفزيون ثم الأقمار الاصطناعية والانترنت والألياف الضوئية، والتزاوج بين الانترنت

كوسيلة اتصال حديثة وبين الوسائل التقليدية.

وقد مثّلَ ظهور الكمبيوتر أهم حدث منفرد في تاريخ التكنولوجيا، فقد كانت أجهزة الكمبيوتر العامل الأساسي للتغير خلال الخمسين سنة الماضية وبخاصة في مجال المال والتجارة والاقتصاد وفي إطار عملية التطوير والتأثير في المجتمع بصفة عامة ولذلك يطلق على هذا العصر عصر المعلومات في كل الميادين (The Information Age)

ويتّفق المفكرون والعلماء والباحثون على أننا نعيش اليوم عصر التكنولوجيا والمعلومات والتواصل الاجتماعي، ونحن نعيش فعلا مجتمع المعلومات الذي يعتمد على استثمار التكنولوجيات الحديثة في إنتاج المعلومات الوفيرة لاستخدامها في تقديم الخدمات على نحو سريع وفعال، وتشكل المعلومات أساسا في التنوير والتطوير، ومن يملك المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب فانه يملك عناصر القوة والسيطرة في عالم متغير يعتمد على العلم في كل شيء بعيدا عن العشوائية والارتجالية، ويشير مصطلح تفجّر المعلومات (Information Explosion) إلى اتساع المجال الذي تعمل فيه المعلومات ليشمل كافة مجالات النشاط الإنساني مما يؤدي إلى النمو الهائل في حجم الإنتاج الفكري، وتشتت الإنتاج الفكري، وتنوع مصادر وأشكال المعلومات كالدوريات والكتب والبحوث والبيانات والندوات والمؤتمرات والرسائل العلمية الجامعية وبراءات الاختراع، والمواصفات القياسية مما يحتاج إليه مجتمع المعلوماتSociety (Information)

والتّكنولوجيا (Technology) هي بوجه عام المعرفة وأدوارها التي يستخدمها الإنسان للتأثير في العالم الخارجي، ولها عنصران يكمل بعضها بعضا: العنصر المادي المتمثل في الآلات والمعدات، والعنصر العلمي والمنهجي الذي يشمل الأسس المعرفيّة والتّقنيّة والمنهجيّة التّي هي وراء إنتاج تلك الوحدات المادية، لذا نجد أن تكنولوجيا الاتصال (Communication Technology) تقوم على عاملين:

الأوّل: الفكري والمعرفي ويتمثل في علم الاتصال.

الثّـاني: المـادي والتقنـي المتمثـل فـي التطبيـق العلمـي للاكتشـافات والاختراعـات والتجارب في مجال المعلومات وصولا إلى تكنولوجيا المعلومات ومرحلة التفاعلية.

الإعلام الإسلاميّ عبر الاتّصال الفضائيّ السّمعيّ البصريّ

في سماء العالم العربيّ والإسلاميّ اليوم عدد كبير من القنوات الفضائية، وتتراوح هذه الفضائيات بين الحكومية الرسمية والخاصة والتجارية والإعلانية، كما تتراوح الاهتمامات والبرامج بين السياسة والدين والفن والموسيقى والتاريخ والاقتصاد والزراعة وحتى الطبخ.

ورغم ما تقدّمه هذه القنوات من خدمات فإنّها تعاني من انحرافات وأفكار تعاكسُ قيمَ الأمّة وتخرجُ بها عن مسارها الحضاريّ التّاريخيّ.

ومع التّأكيد على ضرورة تثمين الأدوار التّي تقوم بها قنوات إعلامية كثيرة، ومع أهميّة التّنبيه دائما على إصلاح الخلل في الخط التحريري والأداء على حدّ سواء؛ فإن الحاجة ماسّة إلى إعلام إسلامي هادف ينطلق من ثوابت الأمة ويعيش واقعها ويعكس تطلعاتها ويعلي من شأن تاريخها ويدفعها نحو التعاون والتنسيق من جديد حتى تتحقق الوحدة الإسلامية مرة أخرى، وإن حملت هذه المرة شكلا عصريا على غرار التكتلات والتجمعات الدولية التي نراها في الشرق والغرب، وأبرزها تجربة الإتحاد الأوروبي وحلف شمالي الأطلسي وروابط دولية أخرى.

وهكذا تحتاج كليات وأقسام الدعوة والإعلام، وحتى كليات الإعلام، إلى مزيد من الدّراسات والبحوث الجادّة في مجالات التنظير للإعلام الإسلامي، والتقويم أيضا، ويشمل ذلك المفاهيم والبرامج والسياسات والضوابط وحدود استعمال الأساليب الحديثة

فـي الدعايـة والإعـلان والبـرامج التفاعليـة وغيرهـا، كمـا يحتـاج البـاحثون والممارسـون للإعلام الإسلامي إلى تواصل إيجابي وفاعل مع العلماء والمجامع الفقهية للوصول إلى فتاوى وحلول لبعض الإشكاليات الشرعية القائمة خاصة ما تعلق منها بظهور المرأة في وسائل الإعلام والقضايا المشابهة.

وضوح الهدف.. ضرورة إعلاميّة:

يعيشُ قطـاع كبير من الإعـلام اليوم حالـة غيـاب الهـدف، أو سيطرة اللاهدف، ولا يعني ذلك أن ذلك العدد الكبير من القنوات الفضائية الراقصة، وقنوات الأفلام الهابطة وما شابهها، قامت دون أهداف، فأهدافها واضحة حتما وبينها المال والثراء وبثّ أفكار غريبة عن دين وثقافة الأمة، لكن المقصود هو الهدف السامي الذي يساهم في دفع مسيرة الأمة إلى الأمام لتتبوّأ مكانتها الريادية من جديد.

وفي ظلّ حملات التّشكيك التّي يقودها البعض ضد القنوات الإسلامية، يظل السؤال مطروحا: هل هناك حاجة ماسة إلى إعلام فضائي هادف؟ وهل يحتمل الفن التليفزيوني الميال بطبيعته إلى النزعة الترفيهية والتسويقية أن يكون هادفاً؟ وإذا سلّمنا جدلاً بذلك؛ فما مواصفات ذلك الإعلام الفضائي الهادف؟

والجواب: نعم هناك حاجة أكثر من ماسة في مجتمعاتنا لإعلام فضائي هادف، سواء أطلقنا عليه صفة الإسلامي أم تركناه يعبّر عن نفسه من خلال مضمونه ورسالته.

والتّجارب الإسلامّية والقنوات الجادّة، التّي ظهرت في العالم العربي على سبيل المثال، أثبتت أن لهذه القنوات موقعاً مرغوباً في اهتمامات المشاهدين العرب، عكس ما حاولت الأرقام ترويجه عن بعض الفضائيات الراقصة، أو حتى القنوات الرياضية.

مشكلة التّمويل:

الإشكالية التّي تواجه بعض القنوات الإسلامية هي التّمويل، لأن ما يحدث الآن مع كثير منها، أي ما يصلها من تمويل ودعم، هو أقرب إلى النّشاطات الخيرية والتبرع والدعم المدفوع بالتّعاطف، وهو أمر لا غبار عليه لأن الأمة بخير، وفي كل زمان ومكان تظهر مساهمات أهل المال والثراء في مجالات الخير المختلفة.. قديما في المدارس والأربطة والثغور وطرقات الحجيج وسقياهم والأوقاف وغير ذلك، وحديثا في ميادين متعددة منها الإعلام..

لكنّ المطلوب هو الوصول إلى صيغة تمويلية مناسبة وبلوغ الفضائيات الإسلامية مستوى المنافسة الحقيقية على سوق الإشهار والإعلان وعوائد الرّسائل والمكالمات الهاتفية في البرامج التفاعلية وغيرها من مصادر التّمويل، وهو مجال ما زال في حاجة إلى تفعيل مستمرّ يتزامن مع أبحاث متواصلة ومتجددة تجمع بين الفقه الإسلاميّ وعلوم الإعلام والاتّصال، حتّى لا تقع الفضائيات الإسلامية في المخالفات الشّرعية أو الإسفاف والابتذال عبر برامج تركّز على العوائد المادية وحدها دون غيرها.

ويمكن الاطّلاع على أنموذج نشرته مجلّة البحوث الفقهية المعاصرة، التّي تصدر من الرّياض بالمملكة العربية السّعودية، في العدد 107، وهو: أحكام تمويل الفضائيات الإسلامية من عوائد برامجها وخدماتها، للدّكتور طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري، اليمني.

وفي البحث محاولة جادّة للوصول إلى أحكام حول حكم تمويل الفضائيات الإسلامية من عوائد برامجها، وحكم تشفير هذه الفضائيات، وأحكام رعاية البرامج، وحكم عوائد الاتّصال هاتفيا بالبرامج وأشرطة الرّسائل، وجوائز المسابقات، ثمّ خدمات الإعلانات وما يتعلق بها من قضايا وأحكام.. وقد وصل الباحث إلى عدة نتائج بعد غوصه الجيّد في أحكام المعاملات والبيوع وما شابه في الشّريعة الإسلامية.

تحدّيات العولمة التّي تواجه الإعلام الإسلاميّ عبر الفضائيات:

فرضت العولمةُ على العالم الإسلاميّ، وغيره، عددا من التّحديات، وأوجبت عليه مراجعةً شاملةً لكثير من طرق ومناهج ووسائل الخطاب الدّينيّ الإسلاميّ، سواء الموجّه إلى الدّاخل أو الخارج.. ويعودُ السّببُ إلى شراسة الهجوم الإعلاميّ والثّقافيّ الذّي تقوده العولمةُ عبر وسائلها وأساليبها المثيرة والمتجدّدة.

وهناك عدد من التّحديات في هذا السّياق نذكر منها:

1- ضرورة الانفتاح على الثّقافة الإنسانيّة العالميّة: العالم بجهاته الأربع وحضاراته القديمة والحديثة يمثّلُ أسرةً كبيرةً واحدة، والأصلُ الإنسانيّ واحد كما يقرّر ذلك الإسلام، فكلّ النّاس من آدم وحوّاء، والتّفاضل بالإيمان والتّقوى والعمل الصّالح.

يعاني بعض صنّاع الخطاب الإسلامي من مسألة الانغلاق على الذات، ورفض الثقافة العالمية جملة وتفصيلا وعدم مناقشتها والاستفادة منها، وبالتالي إغلاق الباب في وجه التبادل الثقافي والفكري والإنساني مع العالم. والمطلوب من الخطاب الإسلامي، خاصة عبر الفضائيات، أن يرقى إلى مستوى العالمية والشمولية في التفكير. وأن يكون مرآة تعكس الواقع المحلّي بمنظور عالمي، فالانعزالية لم تعد تنفع في عصر الانفتاح وسقوط الحواجز الفكرية والثقافية بين الناس والمجتمعات حيث أضحى العالم قرية صغيرة بواسطة حداثة الاتصالات وثورة المعلومات. كلّ ما في الأمر أن علينا تحصين أنفسنا إيمانيا وعلميا وفكريا، ثم الانفتاح دون خوف على ثقافات الآخرين.

2- الحوار وقبول الآخر: يعاني الخطاب الإعلامي الإسلامي من الخطابات الإنشائية التي فيها شيء من نبذ الآخر وعدم قبوله والتنفير منه ونعته بأوصاف غير لائقة تدعو إلى رفضه بالكامل، خاصة في الخلاف السني الشيعي، وحتى الخلاف بين اتجاهات فكرية داخل النسيج السنّي. ويظهر في الخطاب الإعلامي الإسلامي تشدد وتعصب مذهبي وطائفي، وأفكار غريبة عن حقيقة الدين وتعاليمه الداعية إلى الوحدة

والتعاون والأخوة وبناء الأمة الواحدة.

وإذا عانى الخطاب الإسلامي من عدم قبول الآخر في داخل النسيج الواحد، فكيف سينفتح على الآخر ويحاوره؟.. وهذا الأمر لا يعني بالضرورة أن يكون الآخر مماثلاً لي ونسخة طبق الأصل عنّي، لكن يعني القبول به على ما هو عليه من شكل ولون وعرق ودين وفكر وثقافة وانتماء، وبعدها يتحقق التفاهم والتناغم المبدئي، وتتهيأ الأرضية المناسبة للحوار، لينطلق الإعلامي المسلم في إرسال رسالته وبيان الحق الذي يؤمن به.

3- **التخلّف الحضاريّ**: يشكل التّخلف الحضاري أحد التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي، خاصة عبر الفضائيات، حيث إن تراجع الحالة الثقافية والعلمية والفكرية في الأمة تساهم في زيادة عدد الجَهَلة والأمّيين والمتزمّتين الذين يشكّلون مجموعات كبح واعتراض للمسيرة. كما أنّ الخطاب الإعلامي الإسلامي الموجه نحو الآخر، سواء في الشرق أو الغرب، يعاني من نقطة ضعف كبيرة، وهي حالة التخلف التي تعيشها الأمة الإسلامية، لأن الآخر سوف يبحث عن مصدر الخطاب وأهله ومستويات المدنية والحضارة التي وصلوا إليها، قبل أن يتفاعل مع الخطاب الإسلامي، وهكذا ينبغي أن تكون الجهود المبذولة في هذا الشأن مضاعفة، فبقدر تحسّن أوضاع مجتمعاتنا الحضارية والمدنية، بقدر ما ينتبه إليها الآخر في العوالم الأخرى ومن ثمّ التوجّه إلى ديننا والقراءة فيه والبحث في تفاصيله ما يقوده حتما إلى الإيمان.

الإعلام الإسلاميّ والاتّصال الرقميّ

يعيشُ العالَمُ اليوم مرحلةً جديدةً من التّطوّر التّقنيّ امتزجت فيها خلاصات ثورات ثلاث هي **ثورة المعلومات** التّي أحدثت انفجارا معرفيا ضخما تمثل في ذلك الكم الهائل

من المعرفة في أشكال تخصصات ولغات عديدة، والذي أمكننا السيطرة عليه والاستفادة منه بواسطة تكنولوجيا المعلومات، وثورة **وسائل الاتصال** المتمثلة في تقنيات الاتصال الحديثة، والتي بدأت بوسائل الاتصال السلكية واللاسلكية، مرورا بالتليفزيون والنصوص المتلفزة، وصولا إلى الألياف البصرية وتقنية الأقمار الصناعية التي تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان حتى الآن من تطور، وأخيرا ثورة **الحاسبات الإلكترونية** التي توغلت في كل مناحي الحياة وامتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها، ولعل شبكة الانترنت العالمية تمثل ذلك التداخل في أوضح صوره.

ويعودُ الفضلُ في إمكانية تحقيق المزج فيما بين الثّورات الثّلاث، المعلومات والاتّصال والحاسبات، إلى ما يعرف اليوم بالتقنية الرقمية Digital Technology التي أتاحت لغة للحوار المشترك بين تكنولوجيا وسائل الاتصال من جهة، وتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية من جهة أخرى، حيث أتاحت هذه التقنية المتقدمة إمكانية ترجمة المعلومات بكافة أنواعها إلى رموز شفرية، بما يشمل، إلى جانب الصوت والنص، الصور الفوتوغرافية وغيرها من العناصر الغرافيكية Graphics فتفهمها وتتعرف عليها الحاسبات الآلية، وتتيح إمكانية نقلها في ذات الوقت عبر وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية، الأمر الذي أتاح لتكنولوجيا المعلومات إمكانية الاستفادة من الإمكانات الهائلة التي تتيحها اليوم كل من تقنيتي الاتصال والحاسبات الإلكترونية على حد سواء.

ولمعرفة أكثر بأسباب وجذور التحولات التي تشهدها البشرية بسبب الثورة الرقمية، يحسن العودة إلى أصل هذه الثورة وهو ما يعرف بـ (البصريات الليفية أو الألياف البصرية)، وهي ذلك الفرع من علم الفيزياء الذي يرتكز على ظاهرة انتقال الضوء عبر ألياف شفّافة من الزجاج أو البلاستيك وتستطيع هذه الألياف البصرية أن تحمل الضوء عبر مسافات تتراوح بين سنتيمترات قليلة وأكثر من 160 كلم.

وقد دخلت الاستعمالات الرّقمية وسائل الإعلام الإسلاميّة، بجميع أنواعها، على غرار وسائل الإعلام الأخرى، ومع ذلك ينبغي التأكيد على أن مجالات التطبيق

والاستفادة ما زالت متاحة أكثر، وهذه التقنيات في تطور مستمر، ولكي يصل صانع الإعلام الإسلامي إلى درجات متقدمة وتنافسية من الحرفية والأداء والتفاعل؛ يجب عليه أن يستفيد من هذه التقنيات سواء في النقل والتواصل، أو في الصناعة الإعلامية من خلال الديكور أو الإخراج أو المؤثرات الصوتية والبصرية.

الإعلام الإسلاميّ عبر الأنترنت

نشأة وتطوّر الانترنت:

كان يوم 2 جانفي 1969 هو اليوم الذي صدرت فيه شهادة ميلاد شبكة الانترنت من الحكومة الأمريكية، حينما بدأ مجموعة من العلماء أبحاثهم لإنشاء شبكة كمبيوتر كبيرة في مشروع تابع لإحدى إدارات وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وتم بالفعل إنشاء هذه الشبكة التي عرفت وقتها باسم (ARPANET)، وكانت أهداف هذه الشركة هي تبادل المعلومات بين العلماء في مختلف أنحاء البلاد.

في سنة 1983 تم تقسيم شبكة (ARPANET) إلى شبكتين الأولى (MILNET) والثانية (ARPA NET)، واقتصر استخدام الأولى على النواحي العسكرية بينما اقتصر استخدام الثانية على الأغراض المدنية، وظلت إمكانية الاتصال بين الشبكتين متاحة، وعُرف هذا الاتصال باسم انترنت.

وانطلقت الانترنت، المعروفة حاليا، بداية من سبتمبر عام 1993 عندما تحولت الشبكة التي كانت مخصصة للبحث العلمي إلى شبكة للشبكات متاحة للجميع.

الخدمات الرّئيسيّة لشبكة الانترنت:

– خدمة الويب (WEB)، من خلال INTERNET BROWSERS –خدمة البريد الإلكتروني – خدمة الدردشة – خدمة البحث داخل الشبكة – خدمة تحميل ورفع الملفات عبر الشبكة – خدمة المجموعات الإخبارية – خدمة المنتديات – خدمة القوائم البريدية – خدمات شبكات التّواصل الاجتماعيّ وهي التّي تكاد تسيطر على المشهد خلال هذه السّنوات، ومن أشهرها وأكثرها استعمالا: الفيسبوك، واليوتيوب، والتّويتر، والواتساب وغير ذلك..

تأثير شبكة الانترنت على وسائل الاتّصال:

تمتاز الانترنت بسهولة الاستعمال وسرعته وانخفاض التكاليف، ومن هنا يبرز تأثيرها على وسائل الاتصال الكلاسيكية:

– **الكتاب:** دعمت الانترنت الكتاب من خلال ما صار يعرف بالنشر الإلكتروني وانتشار نسخ (PDF)، كما انتشرت قوائم الكتب على الشبكة وصار بوسع القارئ الدخول إلى المكتبات الكبرى وتصفّح قوائمها.

– **الصّحافة:** تأثرت الصحافة بثورة الانترنت ودخلت مرحلة النشر الإلكتروني، وتجاوز البعض مجرد وضع الجريدة على الانترنت إلى الاكتفاء بالظهور على هذه الشبكة دون الحاجة إلى طبعة ورقية. هذا إضافة إلى المواقع الإخبارية الإلكترونية، ليبرز في هذا الإطار مصطلح الصحافة الإلكترونية.

كما استفادت الإذاعة والتلفزة من مزايا الأنترنت من خلال تدفق الأخبار والمعلومات وسهولة الوصول إلى الأرشيف والإرسال والاستقبال، كما استعانت جميع وسائل الإعلام الفاعلة، صحيفة، تلفزيون، إذاعة، بمواقع إلكترونية للوصول إلى جمهور الانترنت العريض.

إنّنا في عصر الإنترنت بجدارة، ويمكن السّؤال: كيف نتخيّل عالما بدون أنترنت.. ولا شكّ أنّ الحياة لن تتوقف لو فقدنا الانترنت، لأنّ أعدادا كبيرة في مجاهل أفريقيا وشعوب آسيا الفقيرة، ربما لم تسمع بعد بالانترنت، فلها ما يشغلها من مشاكل وتحديات الحياة بفقرها وأوبئتها وحروبها ونزاعاتها.. ومع ذلك يمكننا، نحن الشّعوب أو النّخب التّي تستفيد من مزايا الانترنت، أن نتحدّث بإسهاب عن إضافات الانترنت في عالم الاتّصال والإعلام ومنها:

1- اختراع وسائل اتصال جديدة وفق وظائف جديدة.

2- مساهمة وسائل الإعلام الجديدة في تطوير الإنتاج الإعلامي.

3- خَدَمَتْ شبكة الانترنت وسائل الإعلام الجماهيري وعملت على تطويرها وعولمتها، وصار الإنسان حرا في اختيار الوسيلة المناسبة.

4- حجم المعلومات المتاحة زاد من فرص الحصول على التكنولوجيا الاتصالية الجديدة في عملية إرسال المعلومات واستقبالها.

5- هذه التكنولوجيا تسعى إلى تحطيم الحواجز وتخليص الإعلام من التلقي السلبي إلى التلقي الايجابي أي عملية التفاعل، فالمشارك لم يعد سلبيا بل هو ايجابي انتقائي.

6- ظهور الإعلام المتخصص الموجه لفئات معينة.

7- أدى التطور إلى عولمة وسائل الإعلام عن طريق الاتصال والتواصل بالإمكانيات التكنولوجية المتطورة والتكنولوجيا.

وقد دخل الإعلام الإسلاميّ باب الانترنت مبكّرا، حيث انتشرت المواقع الإسلامية بشتّى اللّغات والاتّجاهات، وساهمت في التّوعية والإرشاد في المجتمعات الإسلامية، وفي دعوة غير المسلمين في المجتمعات الأخرى.

وعندما انخرط العالم فيما صار يعرف بالإعلام الجديد (مواقع التّواصل الاجتماعي) استفاد الإعلام الإسلاميّ أيضا من هذه الخدمات والمزايا، ودخل الشّباب المسلم إلى

مرحلة (كلّ فرد صحفيّ) عبر الحسابات في مواقع ومجموعات التّواصل الاجتماعيّ، خاصة فيسبوك وتويتر ويوتيوب وسكايب، والقنوات والإذاعات التّي تبثّ عبر الانترنت.

وينبغي على الدّعاة والإصلاحيين في العالم الإسلامي الاهتمام أكثر فأكثر بعالم الانترنت والتّطورات التّي يشهدها باستمرار.

وتأتي العناية بالأنترنت كوسيلة دعوية لكونها أهمّ الوسائل التّكنولوجية المعاصرة، وأسهلها أيضا، وعبرها يستطيع الدّعاة الوصول إلى أعداد كبيرة وأجناس متنوّعة من البشر في شتّى أنحاء العالم، يبثّون الخير في نفوسهم ويحثّونهم على التّمسّك بالفضائل ويهدونهم إلى طريق الله المستقيم.

ولهذه الوسيلة، الأنترنت، فاعليّة كبيرة في تحسين عمليّات الاتّصال وتسهيل التّواصل والتّفاعل بين عناصر عمليّة الاتّصال (مرسل، رسالة، قناة اتّصال، مستقبِل)، والفاعلية أيضا في عمليّة التّعليم والتّعلّم.

وقدوتنا في الأخذ بهذه الوسيلة وغيرها هو سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذّي وَظّفَ الإمكانات المتاحة في بيئته العربيّة البدائيّة لخدمة دعوته الخالدة وإيصال رسالته؛ فقد خاطبَ الصّحابةَ الكرام، وغيرهم، على قدر عقولهم، وواجه كلّ موقف بما يناسبه، واستخدم الرّسم والتّخطيط على الرّمل تارة، واستعان بالخطاب المباشر والإشارة تارة أخرى، واستقبل الوفود وأرسل الرّسل والرّسائل، واستخدم المجسّمات والعيّنات، وغيرها من الوسائل.. لقد وظّف صلّى الله عليه وسلّم كلّ متاح في بيئته حسب مقتضيات الرّسالة والموقف الدّعويّ، وحسب حال المتعلّم أو السّائل، ومنه سيكون لِزَامًا على أهل الدّعوة والخير توظيفَ جميع الوسائل والتّكنولوجيات المتاحة والمتجدّدة حسب الزّمان والمكان.

جمهور الإعلام الإسلاميّ
في ظلّ العَوْلَمَة الاتّصاليّة والثّقافيّة

العَوْلَمَة: يطلق هذا المصطلح الذّي انتشر في التّسعينيات من القرن العشرين على عملية التّداخل الثّقافيّ بين أنحاء العالم المختلفة، وما ينتج عن ذلك من تأثير ثقافي وسياسي واقتصادي. والعولمة ترجمة لمصطلح إنجليزي Globalization، وقد اشتقت بالعربية من توحّد العالم بتوحد المؤثرات الثقافية أو الحضارية. ويمكن أن نشتمّ من البناء اللغوي لكلمة العولمة رائحة الجبر والقسر، فكأن القوي هنا هو الذي يفرض بضاعته الثقافية والاقتصادية وغيرها على الضعيف.

تحدث العولمة نتيجة التطور الهائل في وسائل الاتصال بين المجتمعات والدول وانتقال المؤثرات من بلد إلى آخر بسرعة لم يسبق لها مثيل. فالاتصالات الهاتفية عبر الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية التلفازية، وخدمات الإنترنت، وانتقال الناس عبر المواصلات السريعة من طائرات وغيرها.. كل هذه عوامل تزيد من تداخل الشعوب والثقافات ببعضها البعض. وخدمات الأخبار التي تقدمها وكالات الأنباء العالمية الكبرى وتنقلها الشبكات التلفازية المنتشرة عالميًا، وشبكة الانترنت.. مثال على توحّد العالم في معلومات إخبارية متماثلة تقريبًا، وموجّهة بشكل أو بآخر..

وربما ظهرت العولمة أكثر من خلال ما يحدث على مستوى الحاسبات الآلية ودخولها في شبكة من الاتصالات التي تربط مستعملي الحاسب الشخصي والحاسبات المركزية الضخمة في نظام واحد هو الإنترنت.

ولا شكّ أن للعولمة إيجابيات بقدر ما لها من سلبيات، لكن سلبياتها أكثر على الشعوب والدول الضعيفة التي لا تحسن الدفاع عن نفسها ولا تملك الوسائل الكافية للذود عن ثقافتها في وجه هجوم ثقافة العولمة، كما لا تستطيع تحصين اقتصادياتها

أمام غزو الآخرين واكتساحهم للأسواق.. وربما تعاني أصلا من عقدة النقص أمام الحضارة المهيمنة أو ما يُصطلح عليه بولع المغلوب بالغالب أو القابلية للاستعمار.

وهكذا يمكن وصف العولمة بأنها شرّ لا بدّ منه، خاصة بالنسبة للعالم الإسلامي، لأن الاتصال بالآخر والتفاعل معه لم يعد خيارا مطروحا، بل بات أمرا حتميا تفرضه التطورات المتسارعة في عوالم الإعلام والاتصال.

وفي ظلّ هذه العولمة الإعلامية يجد الإعلام الإسلاميّ نفسه أمام تحديات كبيرة خاصة في جانب الجمهور المستهدف والقدرة على المنافسة، ومن ثم الحفاظ على الجمهور المسلم أساسا، والوصول إلى جماهير أخرى في العالم الآخر، عالم الدعوة، بعد ذلك.

وللمحافظة على جمهور الإعلام الإسلاميّ لا بدّ من السّعي نحو إعلامٍ راقٍ بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. إعلام يستعمل التقنيات العالية ويخاطب كل الشرائح خاصة الشباب والنساء، ويقدّم الجديد دائما حين يحجز لنفسه مقاعد متقدمة في قلب الحدث السياسي والثقافي والديني وغيره، ويحمل قضايا الأمة على كاهله ويعبّر عن أحلامها وآمالها في الحكم الراشد والعيش الكريم.

أما الوصول إلى جماهير عالمية ودعوتها إلى الإسلام، أو إيصال صورة الإسلام والمسلمين لها، فهو تحدٍّ كبير يواجه صناع الإعلام الإسلامي، لأن كثيرا من الشعوب غير المسلمة التي يمكن أن يستهدفها الإعلام الإسلامي تعيش فترات ازدهار عظيمة في مجال الاتصال والإعلام، وبالتالي تحتاج وسائل الإعلام الإسلامي إلى مستويات عالية من الأداء لتجد لنفسها موطئ قدم في البلدان غير الإسلامية، خاصة الغربية منها.

وتبرز في هذا السّياق إشكالية التّوفيق بين محكمات الشّريعة الإسلامية والقضايا المتجدّدة في عالم الإعلام والاتصال، حيث يحتاج العاملون في حقل الإعلام الإسلامي إلى فتاوى وأجوبة شرعية للمستجدات والنّوازل التّي تواجههم.

ولعلّ صورة التّحدي الذي يواجه الإعلام الإسلامي، على مستوى الجمهور، تظهر بشكل أوضح عندما نتحدّث عن التطورات الهائلة التي يشهدها عالم التلفزيون؛ فمنذ ظهور هذا الصندوق العجيب تعرّض لتغيرات رئيسية قد يكون أبرزها هو التحوّل من نظام الأبيض والأسود الى الملوّن ثمّ التحسينات التي طرأت على الشاشة لتعطي صورة أنقى وصوتا أجمل ثم عالم الأقمار الصناعية والفضائيات.

لكن.. ابتداءً من نهاية القرن العشرين حدث انقلاب كامل في مفهوم التلفزيون تمثّل في تحويل التلفاز من آلة صمّاء تسحر المشاهد وتدفع عقله للاسترخاء بالكامل (كما أثبتت بعض الدراسات الطبية) إلى جهاز يتفاعل فيه الإنسان مع الآلة ويتناغم معها ويؤثر في مجريات واتجاهات برامجها.

هذا ما يُطلق عليه التلفاز التفاعلي، أي الذي يعطي المشاهد فرصة للاختيار (ليس مجرد التنقل بين القنوات) بين ما يعرض وحرية المشاركة في بعض البرامج مع إمكانية طلب معلومات أو حتى تحديد أسلوب الرؤية للمشهد.

إنّها ثورةٌ جديدةٌ في التّلفاز تعطي المشاهدَ القدرةَ على متابعة البثّ الحيّ وإيقافه مؤقّتا (بالطّبع سيكون العرضُ متأخّرا قليلا عن الوقت الحقيقيّ) وإمكانية القفز على الإعلانات، وغيرها من المزايا التّفاعليّة.

مراجع المذكّرة

– محاضرات مقياس الدّعوة الإسلاميّة عبر الوسائط، الدّكتورة مفيدة بلهامل، قسم الدّعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العام الجامعيّ 2020 / 2021.

– مجلّة البحوث الفقهيّة المعاصرة، مجلّة علميّة فصليّة محكّمة، الرّياض، المملكة

العربية السّعودية، العدد 107، ماي، جوان، جويلية / 2016.
– تاريخ وسائل الاتّصال وتكنولوجياته الحديثة، الأستاذ فؤاد شعبان والدّكتور عبيدة صبطي. دار الخلدونيّة، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2012.
– الإعلام الإسلاميّ بين الأصالة والمعاصرة، الدّكتور محمد غياث مكتبي، دار المكتبي، دمشق، سوريا، الطّبعة الأولى، 1431هـ 2010م.
– تكنولوجيا الصّحافة في عصر التّقنيّة الرّقميّة، د. سعيد الغريب النّجار، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 2009.
– فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلاميّ، الدّكتور محمود يوسف السّماسيريّ. المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، الطّبعة الأولى، 2008.
– الموسوعة العربيّة العالميّة، موسوعة إلكترونيّة.
– شبكة الانترنت.

والله وليّ التّوفيق، والهادي إلى سواء السّبيل..

مع خالص تحيّاتي وتمنيّاتي للجميع بالنّجاح والتّوفيق والمستقبل العلميّ الزّاهر

أستاذ المقياس: الطّاهر بن اعمارة الأدغم

البريد الإلكترونيّ: tahiramara@gmail.com

حساب الفيس بوك: الطّاهر بن اعمارة الأدغم

الوادي: 28 صَفَر 1444 هـ / 24 سبتمبر 2022 م